مالك بن أوس

ابن الحَدَثان، البَصريّ، أبو سعيد، أحد بني نَصْر بن معاوية.

من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، أدرك رسول الله ﷺ ولم يره، وركب الخيل في الجاهلية، وكان قديماً، ولكنه تأخّر إسلامُه، ومات سنة اثنتين وتسعين، وقيل: سنة إحدى وتسعين.

وكان عريفَ قومه في زمن عمر بن الخطاب، وشهد خُطبة عمر بالجابية، وفتوح القُدْس معه، قال: دخلت القدس، فجعل عمر الصَّخرةَ خلف ظهره وقال: هذه قبلة اليهود، فقال له عبد الله بن سَلَام: فخالِفْهم، فخالَفَهم.

وقال ابن عبد البر: روى عن العشرة المبشَّرين، والعباس بن عبد المطلب.

وعاش أربعاً وتسعين سنة. وروى عنه عكرمة بن خالد، ومحمد بن جُبَير بن مُطْعِم، والزُّهري، وأبو الزُّبير، ومحمد بن المُنْكَدِر وغيرهم(١).

السنة الثالثة والتسعون

[قال علماء السير:] وفيها فتح قُتيبة بن مسلم خُوارزم وسَمَرْقَنْد، وسُكَّانها [يقال لهم:] الصُّغْد، وبنى بها مسجداً، وخطب بنفسه، وأخذ من أهلها عن رؤوسهم ستة آلاف ألف وثلاثين ألفاً، ووجد في سمرقند جارية من ولد يَزْدَجِرد، فبعث بها إلى الحجاج، فأرسل بها إلى الوليد بن عبد الملك، فأولدها يزيد بنَ الوليد.

ذكر تلخيص القصة:

كان ملك خُوارزم قد غلب عليه أخوه خُرَّزاذ، واستولى على الممالك، وكان إذا بلغه أن عند أحد من أصحاب أخيه جارية أو دابة أو متاعاً، أو كان لبعض أصحاب الملك خُوارزم شاه أخت أو ابنة جميلة أرسل خُرَّزاذ فأخذها غَصْباً، فخاف أخوه منه، فكتب إلى قُتيبة يدعوه إلى بلاده، وشرط عليه أن يُسلم إليه أخاه خُرَّزاذ، وكُلّ عدوٍّ له، يرى فيه رأيَه، ولم يُطلع أحداً على مُكاتبته قتيبة، فأجابه قتيبة إلى ما سأل، وجاء زمان

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٦٠، و«الاستيعاب» (٢٣٢٦)، و«تاريخ دمشق» ٦٦/ ١٧، و«السير» ٤/ ١٧١.

الغزو، فسار قتيبة في جيوشه، وأظهر أنه يريد السُّغْد، ولم يتعرض لبلاد خُوارزم شاه، ثم عطف عليها، ونزل قريباً منها، فقال خُوارزم شاه لأصحابه: ما ترون؟ فقالوا: نقاتله، فقال: لا ولكن نصالحه، قالوا: افعل، فصالحه قتيبة على عشرة آلاف رأس، ومال ومتاع وغير ذلك، ووفى له قتيبة، ورجع طالباً السُّغْد وملكها ـ ويقال له: طرخون ـ وكان قد نقض العهد، وجَهّز أخاه عبد الرحمن بن مُسلم في عشرين ألفاً، وسار مع قتيبة عسكرُ خُوارزم شاه وبُخارى في جمع عظيم، فحصرهم شهراً.

وكتب أهل الصُّغد إلى ملوك الشّاش وفَرَغانة أن العرب قد أحاطوا بنا، وإذا فرغوا منا جاؤوا إليكم، فأرسلوا إليهم: نحن واصلون فاشغلوهم في ناحيتكم حتى نُبَيّتهم. وانتخَبوا من أبناء الفرسان والأساوِرة المَرازِبة والشُّجعان جيشاً[1]، وأمروهم أن يُبَيِّتوا المسلمين.

وجاءت عيون قتيبة فأخبرته، فجهّز إليهم ست مئة من أبطال المسلمين، عليهم صالح بن مسلم، وأمره أن يقف في الطريق الذي يأتون منه، فخرج صالح ففرَّق أصحابَه ثلاث فِرق؛ فرقتين كمينين في موضعين، ونزل هو على قارعة الطريق في فرقة، وطرقهم الكفار ليلاً وهم آمنون؛ لعلمهم أن ذلك الطريق الذي عليه صالح لا تُسلك. وثار صالح، وخرج الكمينان والتقوا، وقاتل الكفار قتالاً لم يقاتله غيرهم، وصبروا فنصر الله المسلمين عليهم، فقتلوهم وحزُّوا رؤوسَهم، وأسروا الباقين، وسألوا الأسارى: مَن قَتَلْنا؟ فقالوا: ما قتلتم إلا ابنَ ملك، أو عظيماً أو شجاعاً، فكتبوا أسماءهم على رؤوسهم، وساروا إلى عسكر قتيبة عند الصباح، فدخلوا والرؤوس مُعلَّقة في رقاب خيولهم، وقد غنموا شيئاً كثيراً من مناطق الذهب المجوهرة وغيرها.

وبلغ السُّغد فانكسروا، ونصب عليهم المجانيق والرّمايات، وجدّ في قتالهم قتيبة بنفسه، ونصح أهلُ خوارزم وبخارى.

فبعث إليه الملك يقول: أنت إنما تقاتلني بأهلي من الأعاجم، فأخرج إليّ العرب، فغضب قتيبة، وأمر العرب أن يقاتلوهم دون العجم، وثلموا في السور ثُلمة، فسدُّوها

(١) في الطبري ٦/ ٤٧٣: وانتخبوا فرساناً من أبناء المرازبة والأساورة والأشداء الأبطال.

بغرائر الدُّخن[١]، وصاحوا: الصلح؛ لما رأوا الغلبة، فصالحهم قتيبة على ألفي ألف ومئتي ألف في كل عام، و على أن يُعطوه في تلك السنة ثلاثين ألف رأس؛ ليس فيهم صبي ولا شيخ، وعلى أن يُخلوا المدينة لقتيبة، ويُخرجوا منها المقاتلة، ويدخلها قتيبة فيبني بها مسجداً ويصلّي فيه ويخطب ويتغدّى ويخرج منها، فأجابوه، فقال: ابعثوا إلينا ما صالحناكم عليه، فأرسلوا إليه بالمال والرؤوس، فقال قتيبة: الآن ذَلُّوا حين صار أولادهم وإخوانهم في أيدينا.

ثم أخلَوا المدينة، وبنوا جامعاً، ونصبوا منبراً، وانتخب قتيبة أربعة آلاف فارس ودخلها، فأتى المسجد، وصلّى وخطب ثم تغدّى، وأرسل إلى أهلها: لستُ بخارج منها فخذوا ما أعطيتمونا. وكان قتيبة يُعَيَّر بالغدر بأهل سمرقند.

وفي رواية: صالحهم على مئة الف رأس، وبيوت النيران، وحِلية الأصنام، فأحضرت الأصنام بين يديه ـ وكانت عظيمة ـ فأمر بإحراقها، فجاءه ملك الصُّغْد والأكابر وقالوا: إن فيها أصناماً مَن حرقها هلك، فقال قتيبة: أنا أحرقها بيدي، وقام وأخذ بيده شعلة نار، وكَبّر وأحرقها، فوجدوا ما كان فيها من بقايا مسامير الذهب والفضة خمسين ألف مِثقال، ثم وجدوا جاريةً من بنات يَزْدَجِرد، فقال قتيبة: أترون ابنَ هذه يكون هجيناً؟ قالوا: نعم، يكون هجيناً من قبل أبيه، فأرسل بها إلى الحجاج، فبعث بها إلى الوليد، فولدت يزيد بن الوليد.

وفي رواية: أن قتيبة لما نازل سمرقند، واشتدّ القتال، فقال قتيبة ليلةً يخاطب نفسه: حتى متى يا سمرقند يُعَشِّش فيك الشيطان؟! أما والله لئن أصبحتُ لأُحاولَنّ من أهلِك أقصى غاية، فكان كما قال؛ قاتلهم في صبيحة تلك الليلة قتالاً عظيماً، قُتل من الفريقين خلق كثير.

وكتب قتيبة إلى الحجاج بفتح سمرقند مع رجل من أهل خراسان، فبعث برسوله إلى الشام يُبَشِّر الوليد، قال: فدخلتُ مسجدَ دمشق قبل طلوع الشمس، فجلست وإلى جنبي رجل ضرير، فسألتُه عن شيء من أمر الشام فقال: إنك لغريب؟ قلت: أجل، قال: من أين أنت؟ قلت: من خراسان، قال: ما أقدمك؟ قلت: أُبشّر بفتح سمرقند،

(١) الغرائر: جمع غِرارة، وعاء من الخيش ونحوه، يوضع فيه القمح ونحوه. والدُّخْن: حبٌّ معروف. المصباح المنير والمعجم الوسيط.

فقال: والذي بعث محمداً بالحق ما افتتحتموها إلا غدراً، وإنكم يا أهل خراسان الذين تَسلُبون بني أمية مُلكَهم، وتنقضون دمشق حَجَراً حجراً.

ودعا قتيبة نَهارَ بنَ تَوْسِعة فقال: يا نهار، أين قولُك: [من الطويل]

ألا ذهب الغَزْوُ المُقَرِّبُ للغِنى ... ومات النّدى والجُودُ بعد المُهَلَّبِ

أقاما بمَرْوالرُّوْذِ رَهْنَ ضَريحِه ... فقد غُيِّبا من كلِّ شَرْقٍ ومَغْرِبِ

فغَزْوٌ هذا يا نهار؟ قال: نعم، هذا أحسن، وأنا الذي أقول: [من الطويل]

و ما كان مُذْ كنا ولا كان قبلنا ... ولا هو فيما بعدنا كابن مُسْلمِ

أعَمّ لأهل التُّرك قَتْلاً بسَيفه ... وأكثَرَ فينا مَقْسِماً بعد مَقْسِمِ

وارتحل قتيبة راجعاً إلى مَرْوِالرُّوذ، واستخلف على سَمَرْقَند أخاه عبد الله بن مسلم في جند كَثيف، وأوصاه فقال: لا تَدَعَنّ كافراً يدخل البلد إلا مَختومَ اليَدِ، فإن جَفَّت الطِّينةُ قبل أن يخرج فاقتله، ومن وجدتَ معه حديدةً فاقتله، ومن بات بها منهم فاقتله.

وقيل: إنه فتح خُوارزم أيضاً في هذه السنة، ثم عاد إلى مرو.

[فصل]: وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك بلادَ الرُّوم، ففتح حصنَ الحَديد، وقلعة غَزالَة، وغزا أيضاً العباسُ بنُ الوليد، ففتح سمسطة(١) وطُوس، والمرزبان، وكاشه، وغزا مروانُ بنُ الوليد فبلغ خَنْجرة.

وفيها أجدبت إفريقية، فاستسقى موسى بن نصير، ودعا وسأل الله، فقيل له قبل أن ينزل من المنبر: ألا تدعو لأمير المؤمنين؟ فقال: ليس هذا يوم ذاك، فجاء الغيث سَحّاً، وسُقُوا سَقْياً كفتهم زماناً.

قال الواقدي: وفيها غضب موسى بن نُصير على طارق بن زياد، وشخص إليه في رجب ومعه حَبيب بن عقبة بن نافع الفِهْريّ، واستخلف على إفريقية ابنَه عبد الله بن موسى، وقطع موسى الزقاق في عشرة آلاف، فتلقاه طارق واعتذر إليه، فقبل عذره ورضي عنه، وبعثه من قُرطبة إلى طُلَيطُلَة ـ وبينها وبين قرطبة عشرون يوماً ـ ففتحها، واستخرج منها مائدة سليمان عليه السلام، وقد ذكرناه.

---

(١) في الطبري ٦/ ٤٦٩: سمسطية.

وفيها عَزل الوليد بنُ عبد الملك عمر بنَ عبد العزيز عن المدينة.

[واختلفوا في عزله على قولين: أحدهما] أن عمر كتب[١] إلى الوليد يخبره بظُلم الحجّاج، وسفكه الدّماء، وما يفعل بأهل العراق، وخوَّفَه عواقبه، وبلغ الحجاج فحقدها، وكتب إلى الوليد أن مُرَّاق العراق وأهل الشقاق قد التجؤوا إلى المدينة، وذلك وهن، فكتب إليه الوليد أن أَشِرْ عليَّ برجُلَين، فكتب إليه الحجاج أن عليك بخالد بن عبد الله القَسْري، وعثمان بن حَيّان، فولّى عثمان بن حيّان المدينة، وعزل عنها عمر.

[والثاني حكاه الواقدي قال:] كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز يقول: اضرب خُبيب بن عبد الله بن الزبير خمس مئة سَوط[٢]، وصُبَّ على رأسه قربةً من ماء في يوم بارد، فامتنع، وجاء كتاب الوليد ثانياً ففعل عمر، فمات خبيب من يومه، فكتب عمر إلى الوليد يَستقيله من الولاية، ولم يزل عمر خائفاً طول عُمُره، وكان إذا مُدِح يقول: وكيف وخُبيب على الطريق ينتظرني؟! ووَدى عمر خُبيباً، وأعتق ثلاثين رَقَبة. [وسنذكر خبيباً.

قال الواقدي:] وكانت ولاية عمر على المدينة سبع سنين وشهوراً.

ولما كان عمر بالسُّويداء قال لمولاه مُزاحم: أخاف أن أكون ممّن نَفَتْه المدينة.

وكان خروجه منها في شعبان، وقيل: عُزل في سنة أربع وتسعين، واستخلف عليها أبا بكر بن محمد بن عَمرو بن حَزم الأنصاري، حتى قدمها عثمان بن حَيَّان للَيْلَتين بقيتا من شوال.

واختلفوا فيمن حجَّ بالناس في هذه السنة على أقوال:

أحدها: عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك، قاله أبو مَعْشَر.

والثاني: عثمان بن حيان وكان على المدينة.

والثالث: محمد بن الوليد[٣].

---

(١) ما بين معكوفين من (ص)، بدله في (خ) و(د): وسببه أن عمر كتب.

(٢) الذي في الطبري ٦/ ٤٨٢ أنها خمسين سوطاً، وفي «المنتظم» ٦/ ٣٠٩ خمسين أو مئة.

(٣) من قوله: واختلفوا فيمن حج... إلى هنا من (ص)، وجاءت مختصرة في (خ) و(د). وانظر الطبري ٦/ ٤٨٢ .

[فصل] وفيها توفي

خُبَيب بن عبد الله بن الزبير

وأمّه بنتُ مَنْظور بنت زَبّان بن سَيّار الفَزاري، من الطبقة الثالثة من أهل المدينة[١].

قال ابن سعد: وكان عالماً، بلغ الوليد بن عبد الملك عنه أحاديث كرهها، فكتب إلى عامله بالمدينة أن يَضربه مئة سَوْط، فضربه مئة سَوط، ثم صبَّ عليه قِربةً من ماء بارد بُيِّتَتْ من الليل، فمكث أياماً ثم مات. هذا صورة ما ذكره ابن سعد في ترجمة خُبيب.

وأما هشام فقال: كان خُبيب مُقيماً بالمدينة، يذكر مَساوىء بني أمية وعُيوبَهم، وبلغ الوليد فكتب إلى عامله عمر بن عبد العزيز أن يَفعل به ذلك فامتنع، وجاء كتاب الوليد ثانياً ففعل به عمر ذلك، فأقام أياماً ومات، وندم عمر كما ذكرنا.

وحكى الموفّق رحمه الله عن مصعب الزُّبيريّ قال: كان خُبيب من النُّسَّاك، وكان عالماً بالأنساب أنساب قريش، طويلَ الصلاة، قليلَ الكلام، قال مصعب: قال أصحابنا: كان يعلم علماً لا يعرفون وَجْهَه، ولا مَذْهَبُه يُشبه ما يدَّعيه الناس من علم النّجوم.

قال: فروى موسى بن عُقَيبة ـ أو عُقْبَة[٢] ـ قال: كنت أمشي مع خُبيب وهو يُحدِّث نفسَه؛ إذ وقف وقال: قُتل عَمرو بن سعيد الساعة، فكان كما قال. وليس لخُبيب عَقِب.

قال البَلاذُريّ: كان عبد الله بن خازم السُّلَمي عامل عبد الله بن الزبير على خُراسان، فلما قُتل ابن الزبير خطب ابن خازم لولده خُبيب بالخلافة، وبقي ذلك في نفس عبد الملك، ولم يعرض له، فلما ولي الوليد وبلغه أن خُبيباً يذكر مساوىء بني أمية وعيوبَهم وينال منهم حرَّك ذلك ما كان كامناً في قلبه، فأمر به فضُرب.

وقد أنكر قوم هذا وقالوا: مات عبد الله بن خازم قبل قتل عبد الله بن الزبير.

---

(١) وقع بعد هذا خلاف بين النسخ في أخبار خبيب، وسنثبت ما في (ص)، ونضم إليها من (خ) و(د) ما ليس فيها. وانظر في ترجمة خبيب: «طبقات ابن سعد» ٧/ ٤٠٥، و«جمهرة نسب قريش» ٣٦ـ٣٨، و«أنساب الأشراف» ٧/ ٢٧، و«المنتظم» ٦/ ٣١٠، و«التبيين» ٢٥٨، و«تهذيب الكمال» (١٦٧٧).

(٢) في «التبيين»: موسى بن عقبة، وفي «جمهرة نسب قريش» و«تهذيب الكمال»: يعلى بن عقيبة.

فصل: وفيها توفي

زُرارة بن أَوفى[1] الحَرَشِيّ

من بني الحَرِيش، أبو حاجب.

ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من التابعين من أهل البصرة، حدثنا عفان[2]، بإسناده إلى قتادة: أن زُرارة بن أوفى كان قاضياً على البصرة.

كذا وقع في نسخة ابن سعد، وفي غيرها.

قال: وكان يُصلّي في منزله الظهر والعصر، ثم يأتي الحجّاج للجمعة.

وقال ابن سعد: مات زُرارة بن أوفى فُجاءةً في سنة ثلاث وتسعين في خلافة الوليد ابن عبد الملك، وكان ثقةً له أحاديث.

وقال ابن سعد بإسناده إلى بَهْزِ بن حَكيم: أن زرارة بن أوفى أَمَّهم في الفجر في مسجد بني قُشَير، فقرأ، حتى إذا بلغ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٨ـ١٠] خرَّ ميتاً، قال بَهْز: فكنتُ فيمن حَمَلَه.

قال: وكان يَقصُّ في داره، وهذه رواية أبي نُعيم[3]، قال: وقدم الحجّاج البصرة وهو يَقُصُّ في داره.

وقد روى جدي[4] أنه كان يَقُصُّ، وابن سعد قال: كان قاضياً، ولعلّه تصحيف.

وفي رواية أنه لما قرأ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ شَهق شَهقةً فمات.

أسند زُرارة عن جماعة من الصحابة؛ منهم: أبو هريرة، وعمران بن الحُصَين، وابن عباس[5].

---

(١) في النسخ: زرارة بن أبي أوفى، في كل المواضع، وهو خطأ، والمثبت من المصادر. هذا وقد جاءت ترجمة زرارة مختصرة في (خ) و(د)، والمثبت من (ص) لوضوحها وتمامها.

(٢) في (ص): عثمان، وهو خطأ، والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٩/ ١٥٠ .

(٣) في «الحلية» ٢/ ٢٥٨ـ٢٥٩ من طريق بهز بن حكيم، وقول بهز: وكان يقص في داره، هو في رواية أبي نعيم كما أشار المصنف، ولم يرد في رواية ابن سعد، انظر طبقاته ٩/ ١٥٠ـ١٥١ .

(٤) في «صفة الصفوة» ٣/ ٢٣٠ .

(٥) انظر «المنتظم» ٦/ ٣١٢ ، و«تهذيب الكمال» (١٩٦٢)، و«السير» ٤/ ٥١٥ .

[فصل: وفيها توفي

وَضّاح اليَمَن

واختلفوا في اسمه على قولين، أحدهما:] عبد الله[١] بن إسماعيل بن عبد كُلال، من أهل صنعاء من الأبناء، والثاني: عبد الرحمن بن إسماعيل، من خَوْلان.

ووَضّاح لقبٌ له لجماله وبياضه وحُسنه، [قال الجوهري[٢]: الوضّاح: الرجل الأبيض اللون].

قصته مع أم البَنين:

[واختلفوا فيها على قولين، أحدهما أن صاحبته أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان، والثاني امرأة أخرى يقال لها: أم البنين بنت المختَزِم من أهل اليمن.

وجه القول الأول ما رواه الخرائطي بإسناده عن أبي مُسْهِر] قال[٣]: كان وضّاح اليمن نشأ هو وأم البنين صغيرين، فأحبّها وأحبته، وكان لا يصبر عنها، حتى إذا بلغت حُجبت عنه، فطال بهما البلاء، فحجّ الوليد فبلغه جَمال أم البنين وأدبها، فتزوجها ونقلها إلى الشام معه، فذهب عقل وضّاح عليها، وجعل يذوب ويَنحل، فلما طال عليه البلاء خرج إلى الشام، فجعل يُطيف بقصر الوليد كلّ يوم ولا يجد حيلة، فرأى يوماً جارية خارجة من القصر، فلم يزل حتى تأنّس بها، فقال لها: أتعرفين أم البنين؟ قالت: نعم، هي مولاتي، فقال: إنها ابنة عمي، وإنها تُسَرُّ بموضعي لو أخبرتِها، فمضت الجارية فأخبرتها فقالت: أو حيٌّ هو؟ قالت: نعم، فقالت لها: قولي له: كن مكانك حتى يأتيك رسولي، فلن أدع الاحتيال لك، فاحتالت فأدخلته إليها في صندوق، فمكث عندها حيناً، فكانت إذا أَمِنت أخرجته فقعد معها، وإذا خافت عَينَ رقيب أدخلته الصندوق.

(١) ما بين معكوفين من (ص)، بدله في (خ) و(د): وضاح اليمن واسمه عبد الله.

(٢) في «الصحاح» (وضح) ١/ ٤١٦.

(٣) ما بين معكوفين من (ص)، بدله في (خ) و(د): قال أبو مسهر. والخبر في «اعتلال القلوب» للخرائطي ٢٥٩ـ٢٦٠.

فأهدي للوليد يوماً جوهر له قيمة، فقال لبعض خَدمه: امض بهذا الجوهر إلى أمّ البنين، وقل لها: هذا هدية، فدخل الخادم من غير استئذان ووضّاح معها، فلمحه ولم تشعر، فبادر إلى الصندوق فدخله، وأدّى الخادم الرسالةَ إليها وقال: هبي لي منه حَجَراً، فقالت له: لا أمَّ لك، وما تصنع أنت بهذا؟ فخرج وهو حنِق عليها، فجاء إلى الوليد فأخبره، ووصف له الصندوق الذي فيه وضاح، فقال الوليد: كذبتَ لا أمَّ لك.

ثم نهض مسرعاً فدخل إليها وهي في ذلك البيت، وفيه عدة صناديق، فجاء حتى جلس على الصندوق الذي وصفه الخادم، فقال لها: يا أم البنين، هبي لي صندوقاً من صناديقك هذه، فقالت: يا أمير المؤمنين: هي وأنا لك، فقال: ما أريد غير هذا الذي تحتي، فقالت: إن فيه شيئاً من أمور النساء، فقال: ما أريد غيره، فقالت: هو لك، فأمر به فحمل، ودعا بغلامين؛ فأمرهما بحفر بئر، فحفرا حتى بلغا الماء، فوضع فمه على الصندوق وقال: أيها الصندوق، قد بلغنا عنك شيء، فإن كان حقاً فقد دفنَّا خَبَرَك، ودَرَسْنا أثرك، وإن كان كذباً فما علينا في دفن صندوق من خشب حَرَج، ثم أمر به فألقي في الحُفيرة، وأمر بالخادم فقَذف به فوقه، وطمّ عليهما التراب جميعاً.

قال: فكانت أم البنين توجد في ذلك المكان تبكي إلى أن وجدت يوماً مكبوبة على وجهها.

وهذه رواية الخرائطي، وأخرجها أبو القاسم بن عساكر في «تاريخه»[1]، وأخرج في «تاريخه» أن القصة كانت مع يزيد بن عبد الملك بن مروان[2]. وإن أم البنين كانت زوجة الوليد من غير خلاف.

وذكر أبو الفرج الأصفهاني[3] بمعناها عن هشام بن الكلبي، وقال في آخر القصّة بعد دفن الصندوق: فلم يُرَ وَضّاح بعد ذلك اليوم، ولم تَرَ أُمُّ البنين في وجه الوليد أثراً حتى فرَّق الموت بينهما.

---

(١) «تاريخ دمشق» ٣٢/ ٣٨١ـ٣٨٢، وأخرجها عن الخرائطي أيضاً ابن الجوزي في «المنتظم» ٦/ ٣٠٦ـ٣٠٧. ومن قوله: وهذه رواية الخرائطي... إلى نهاية الترجمة من (ص)، وجاءت في (خ) و(د) مختصرة وفيها تقديم وتأخير.

(٢) «تاريخ دمشق» ٣٢/ ٣٨٢ـ٣٨٣ من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلبي.

(٣) في «الأغاني» ٦/ ٢٢٦.

وذكر البَلاذُريّ القصة فقال: كانت أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان عند الوليد بن عبد الملك، وكان مُعجباً بها، وكانت امرأةً بَرْزَةً عَفيفة، تحب الشعر والأدب، حجَّت مع الوليد فسمعت إنشادَ وَضَّاح اليمن ـ وكان فصيحاً جميلاً من أبناء أهل اليمن ـ فوصَلَتْه، ثم صحبهم، وجعل يدخل عليها سرًّاً، ويُنشدها من وراء السّتر، وبلغ الوليد فغمَّه ذلك، وقال لخادم: اذهب إليها، فإن وجدْتَه عندها فاقتله، فجاء الخادم فوجده عندها، فأدخلته في صندوق وأقفلَتْه، [فأخذ الخادم الصندوق] وحفر له حُفيرة، وألقاه فيها وطَمَّه[1].

وقال الرّياشي: لما بلغ الوليد قصّة وَضّاح سكت حتى شبَّب وَضّاح بفاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر بن عبد العزيز، فأخذه فدفنه حيّاً[2]، فلما كان في أيام بني العباس تشاحّ رجلان أحدهما من ولد الوليد، والآخر من شيعة بني العباس، فحفر الرجل داراً، فوجد فيها صندوقاً، ففتحه وإذا فيه وضّاح اليمن قد بَلي، فشَنّع على أم البنين بوَضّاح.

وقيل: إن الوليد غَرّق وضّاحاً في الماء وأمّ البنين تراه، وخرجت إلى مكة حاجّة.

وجه القول الثاني: ذكره البلاذري أيضاً وقال: إن أم البنين صاحبة وضاح اليمن ليست بأم البنين بنت عبد العزيز بن مروان، وإنما هي أم البنين بنت المختزم، وكانت امرأة جميلة من أهل اليمن وكانت من حِمْيَر، وكانت جميلة، عشقها وضاح وعشقته، فتزوجها وخرج بها إلى مكة فطلقها[3]، فحج الوليد وهي بمكة، فبلغه حسنها وجمالها، فتزوجها وخرج بها إلى الشام، وخرج وضاح خلفها، ففعل به الوليد ما فعل.

وقال ابن الكلبي: قدم وضّاح على الوليد فأحسن إليه، وقد رُوي له خبر ظَريف في صحته نظر.

---

(١) «أنساب الأشراف» ٧/ ٣١ . وقوله: امرأة بَرْزَة، أي: تُجالس الرجال.

(٢) انظر «الأغاني» ٦/ ٢٢٧ ، و «تاريخ دمشق» ٣٢/ ٣٨٤ـ٣٨٥ .

(٣) كذا في النسخ، والذي في «أنساب الأشراف» ٧/ ٣٢ : وكانت أم البنين امرأة جميلة فعشقها وأحبته، وكان زوجها من حمير... فطلقها، وهو الصواب.

قلت: وهذا هو الصحيح؛ لأن أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان أخت عمر بن عبد العزيز؛ كانت من العفائف العابدات، ذكرها ابن أبي الدنيا في كتاب «العوائد»، والموفَّق في «التوابين»[١].

وقول الخرائطي: إنها وُجدت مَيتة على الحُفرة لا يصحّ؛ لأن أم البنين توفيت في سنة سبع عشرة ومئة باتفاق أهل السِّيَر، والوليد مات في سنة ست وتسعين.

وكذا قول الخرائطي: إن الوليد تزوج أم البنين بنت عبد العزيز بمكة خطأ؛ لأن أباه زوَّجه بها في حال حياته، وذكرنا أن عبد الله بن جعفر كتب إليها لتَشفعَ في ابن قيس الرّقيّات عند عبد الملك بن مروان، وهذا ما انتهى إلينا، والله أعلم.

ومن شعر وَضّاح قوله: [من البسيط]

لا قُوَّتي قُوَّةُ الرّاعي قَلائصَهُ يأوي فيأوي إليه الكلبُ والرُّبَعُ
ولا العَسِيفُ الذي يَشتَدُّ عُقْبَتَهُ حتى يَبيتَ وباقي نَعلِه قِطَعُ
لا يَحملُ العبدُ فينا فوق طاقَتِه ونحن نحمِلُ ما لا تحملُ القَلَعُ
منّا الأناةُ وبعضُ القومِ يَحسبُنا أنّا بِطاءٌ وفي إبطائنا سَرَعُ[٢]

(١) في خبر أورده لها ص ١٦٨ مع عزة صاحبة كثير.
(٢) «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ٦٤٥-٦٤٧. قوله: والرُّبَعُ: ما نُتج في الربيع، والقلائص: النُّوق الشابّة الفتية، والعَسِيف: الأجير، والعُقْبَة: قيل: فرسخان، ويشتد: يعدو، والقَلَع: جمع قلعة، وهي الهضاب العظام.